

في النوادر والتعازي والمرائي

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

... ونحن قائلون بعون الله في النوادر والمرائي ، والتعازي بأبلغ ما وجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التي ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادر عند نزول المصائب :

فنادبة تثير الحزن من ريبضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس الماتم ، وتترك صدعا في القلوب الجلامد ! .
ونادبة تخفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب ! .

- قال عمرو بن ذر : سألت أبا ، ما بال الناس إذا وعظتهم بكوا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ .
- قال : يا بني ، ليست النائحة الثكلي مثل النائحة المستأجرة ! .
- وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المرائي أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها ، وقلوبنا محترقة .
- وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء ! .
- وقالوا : كل شيء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر ! .

البكاء على الميت

لإبراهيم :

- الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

فلئن بكيناه لحق لنا ولئن تركنا ذاك للصر
فلمئله جرت العيون دماً ولمئله جمدت فلم تجر

الأحنف وباكية !

● مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ، ورجل ينهاها ، فقال له : دعها ، فإنها تنذب عهدا قريبا ، وسفرا بعيدا .

النبي وباكيات من الأنصار

● ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي ﷺ : « لكن حمزة لاباكية له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقيم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة ! .

وقال النبي ﷺ : « لولا أن يشق على صافية مادفنته حتى يحشر من حواصل الطير وبطن السباع » .

القول عند الموت

الرسول ﷺ في قبضه :

● حماد بن سلمة عن ثابت بن مالك قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله ﷺ ، فتواكدت (١) عليه كرب الموت ، فرفع رأسه وقال : واكرباه ! .

فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك ياأبتاه ! قال : لا كرب على أبيك بعد اليوم ! .

فاطمة رضى الله عنها - مع أبيها عند قبضه

● الرياشي عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن

(١) تواكدت : اشتدت .

المنهال بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :
مارأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة .

وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ، ورحب بها وأجلسها في
مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ، ورحبت به ، وأخذت بيده فقبلتها .
فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسر إليها فبكت ، ثم أسر إليها
فضحكت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء ، فإذا هي
واحدة منهن ، بينما هي تبكى إذ هي تضحك ! .

فلما توفي الرسول ﷺ سألتها ؛ فقالت : أسرَّ إلى فأخبرني أنه ميت ؛
فبكيت !؛ ثم أسرَّ إليّ أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت ! .

عائشة - رضی الله عنها - مع أبيها في احتضاره

● القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين - رضی الله عنها - أنها
دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يأبت ، اعهد إلى
خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛
وإنك محضور (١) ، ومتصل بقلبي لوعتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع
لونك (٢) ؛ فأبى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب حزني عليك ، أرقاً فلا
أزرقاً (٣) ، وأشكو فلا أشكى (٤) .

فرفع رأسه فقال : يابنية ، هذا يوم يحل فيه عن غطائي ، وأعين
جزائي ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فمقيم .

(١) أي حضرته الوفاة .

(٢) انتقع لونه : تغير واختطف لأمر أصابه كالخزن والفرع (لغة في امتقع) .

(٣) أحاول تخفيف دمعى فلا يجف ولا يسكن .

(٤) عندما أشكو لا يزيل أحد شكواي بعد فقدك .

إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حيث كان النكوص (١) إضاعة ،
والخذر تفریطاً ؛ فشهدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فتبلغت بصحفتهم (٢) ،
وتعللت بكرة لفتحهم (٣) ، وأقمت صلاى معهم ، لا مختالاً أشراً ،
ولا مكابراً بطراً ، لم أعد سداً لجوعة ، وتوريةً لعورة ، طوى ممغص تهفو له
الأحشاء ، وتجب له الأمعاء ؛ واضطرت إلى ذلك اضطرار الجرض إلى المعيف
الآجن (٤) ، فإذا أنا مت فردى إليهم صحفتهم ، ولفتحهم ، وعبدهم ، ورحالهم ،
ودثارة (٥) ما فوق اتقيت بها أذى البرد ، ودثارة ما تحتى اتقيت بها أذى
الأرض . كان حشوها قطع السعف .

عمر وعائشة رضى الله عنهما مع أبى بكر فى احتضاره

● ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ﷺ ، لقد كلفت
القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيات من شق غبارك (٦) ! وكيف
باللحاق بك !؟ .

وقالت عائشة وأبوها يُغمضُ :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى ، عصمة للأرامل
فنظر إليها وقال :

ذلك رسول الله ﷺ . ثم أغمى عليه ، فقالت :

لعمرك ما يُغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

(١) تحملت مسئوليتهم وقتما كان التراجع عن تحمل المسئولية إضاعة للمسلمين .

(٢) تبلفت بصحفتهم : شاركهم طعامهم ، والبلغة ما يتبلغ به من العيش .

(٣) شاركهم شربهم مرة بعد أخرى . واللحمة : الناقة الحامل .

(٤) الجرض : من جف ريقه ويُغصُّ به وفى هذه الحالة يرضى بما تعافه النفس من الماء الآجن

الذى تغير طعمه ولونه .

(٥) الدثارة : ما يتدثر به الإنسان ويتغطى .

(٦) شق غباره : لحق به وهيات ذلك .. وبعد على كل من يحاول ومثله قول عمر رضى الله عنه

فى أبى بكر بعد أن تولى الخلافة عقبه : لقد أجهد من يأتي بعده .

قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لى :

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ (١) .

ثم قال : انظروا ملاءتى فاغسلوهما ، وكفنوني فيهما ؛ فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت ! .

لمعاوية فى النساء

● وقال معاوية ، - وذكر عنده النساء - :

ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى مثلهن .

الوقوف على القبور والقول عند الموت

● لفاطمة على قبر أبيها :

وقفت فاطمة - رضى الله عنها - على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها (١) وغاب مُدْغبت عنا الوحى والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نعت وحالت دونك الكتب (٢)

● حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت على فاطمة فقالت : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم أن تحشوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ .

ثم بكت ، ونادت : ياأبتاه ! أجاب ربا دعاه ؛ ياأبتاه ! من ربه ما أدناه ؛

(١) ق : ١٩ .

(٢) أوائل : المطر ، وهو حياة الأرض ، وما أشد شوقها إليه حين ينقطع عنها ! .

(٣) الكتب : جمع كتيب ، وهو الكومة من الرمال .. فعندما ندفن بحال بيننا وبين أهلينا

ودوينا .

ياأبتاه ! من ربُّه ناداه ، ياأبتاه ! إلى جبريل ننعاه ؛ يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه .

قال : ثم سكتت فما زادت شيئاً (١) .

عائشة - رضی اللہ عنہا - علی قبر أبی بکر

● ووقفت عائشة على قبر أبى بكر فقالت : نضر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ؛ فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعزراً بإقبالك عليها .

ولئن كان أجَلُ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك (٢) .

وأعظم المصائب بعده فقدك - إن كتاب الله ليعُدُّ بحسن الصبر فيك ، وحسن العوض منك ، فأنا أتنجُزُ (٣) موعود الله ، وأستعِضُّ منك بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله ، توديع غير قالية (٤) لحياتك ، ولازارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

لعلى في فاطمة

● المدائنى قال : لما دفن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقةً وكُلُّ الذى دون الممات قليلٌ
وإن افتقادی واحداً بعد واحدٍ دليل على ألا يدوم خليلٌ

(١) ولا عجب ؛ فقد تربت في بيت النبوة ، وعرفت ما يقال ، وما لا يقال ! .

(٢) الرُّزء : الفقد والمصيبة .

(٣) لقد بشر الله الصابرين ، وقد صبرت ؛ ولذا أطمع في إنجاز الوعد .

(٤) القالى : الكاره ، وفي القرآن : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ، فهي تودعه وداع من كان

يحب حياته ، ومع هذا فهي راضية بقضاء الله غير زارية على القضاء ! وهذا هو الصبر والإيمان بقضاء الله ؛ أليست أم المؤمنين ، والأسوة الحسنة !؟ .

امراة الحسن على قبره

- لما مات الحسن بن على عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطا (١) على قبره ، وأقامت حَوْلًا ، ثم انصرفت إلى بيتها ، فسمعت قائلا يقول : أدركوا ما طلبوا . فأجابه مجيب : بل ملؤا فانصرفوا .

نائلة على قبر عثمان

- ابن الكلبي قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحمت عليه ثم قالت : ومالى لا أبكى وتبكى صحابتي وقد ذهبت عنا فضول أى عمرو ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى ! ، فدعت بفهر (٢) فهشمت فاها ، وقالت : والله لا فَعَدَ منى رجل مقعد عثمان أبداً (٣) ! .

لأعرابية فى أبيها

- وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن فى الله تبارك وتعالى منْ فقدك عوضاً ، وفى رسول الله ﷺ من مصيبتك أسوة . ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مقفراً من الزاد (٤) ؛ حُشْوَشِين المهاد (٥)

(١) الفسطاط : الخيمة .

(٢) فهر : حجر صغير .

(٣) لن أكون لغيره زوجة .

(٤) لا زاد معه .

(٥) مهاده وسريره خشن ، فهو ينام على تراب .

غنيا عما في أيدي العباد (١) ، فقيرا إلى مافي يديك يا جواد (٢) ، وأنت أيُّ ربِّ خير من نزل به المؤمنون (٣) ، واستغنى بفضلته المقلون (٤) وولج (٥) في سعة رحمته المذنبون .

اللهم، فليكن قِرى (٦) عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ...
ثم انصرفت ! .

لأعرابية في رثاء ابنها

● قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباء لها ، وبين يديها بُنى لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه ... فأغمضته وعصبته ، وسجته (٧) ، وقالت : يا بن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ .

قالت : ما أحق من أليس النعمة ، وأطيلت به النَّظرة ، أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقده ، والحلول بعفو ربه ، والمحالة بينه وبين نفسه ؛ قال : وما يقطر من عينها دمة صبراً واحتساباً .

ثم نظرت إليه فقالت :

والله ما كان ماله لبطنه ، ولا أمره لعرسه ، ثم أنشدت :

رحيب الذراع بالتي لا تشينه وإن كانت الفحشاء بها ذرعاً

(١) فلم يعد في حاجة إلى ما يحتاج إليه أهل الدنيا من مال ومتاع . .

(٢) من رحمة ومغفرة ورضوان .

(٣) الذين علقوا آمالهم على رحمتك وكرمك ومغفرتك .

(٤) المقل : قليل الفضل .

(٥) ولج : دخل .

(٦) القِرى : ما يقدم للضيف .

(٧) سجته : غطته بثوب ونحوه .

لجارية على قبر أبيها

- سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهي تقول :
يا أبت ، مثل يومك لم أره ! قال : الذى - والله - لم يرمثل يومه
أبوك ! (١) .

أبيات قيل : إنها لأبى نواس

- وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس ثلاثة أبيات ؛ فقيل : إنها
من قول أبى نواس ، وهي :

أقولُ لقبر زرتَه متلثماً (٢) سقى الله بزد العفو صاحبة القبر
لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى وشمس الضحى بين الصفائح (٣) والعفر
عجبت لعين بعدها ملت البكا وقلبٍ عليها يرتجى راحة الصبر

أعرابية مات ابنها

- قيل لأعرابية مات ابنها . ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه
آمنى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده ! .
ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظرُ
ليت المنازل والديا ر حفائر ومقابر
إنى وغيرى لاحالة حيث صرت لصائر (٤)

(١) نعم فأيام الدنيا متشابهة ، فى سرائها وضرائها ، أما هذا اليوم الذى يسلم فيه الإنسان
روحه ، ويفارق دنياه ، فإنه يرى ما ليس له مثيل من قبل فى دنياه ... لقد انتقل من عالم إلى عالم .
(٢) متلثماً : يقبل ذا الجدار وذا الجدار .
(٣) بين الصفائح وألعرق بين الأحجار والتراب .
(٤) كلنا للموت صائرون .

● وقالت أعرابية ترثي ولدها :

يا فرحة القلب والأحشاء والكبد
لما رأيتك قد أدرجت في كفن
أيقنت بعدك أني غير باقية
وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

● وقالت أعرابية :

أبني غيبك المحل الملحد
أنت الذي في كل ممسى ليلة
تبلى وحزنك في الحشا يتجدد
إما بعدت فأين من لا يبعد

● وقالت فيه :

لئن كنت لي لهوا لعين وقره
وهون حزني أن يومك مدركي
لقد صرت سقما للقلوب الصائح
وأني غدا من أهل تلك الضرائح^(١)

● أبو عبيد البجلي قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال

له : عامر ، :

● فقالت :

أقمت أبكيه على قبره
تركنتي في الدار لي وحشة
من لي من بعدك يا عامر
قد ذلّ من ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا
إذا نحن أبنا^(٢) سالمين بأنفس
فأنفسنا خير الغنيمة إنها
ولا بر إلا مادون ما بر عامر
هو ابني أمسى أجره لي وعزني
كباكية لم يحي ميتا بكاؤها
فإن احتسب أوجر^(١) وإن أبكه أكن

(١) الضرائح : جمع ضريح . القبر .

(٢) أبنا : عدنا ورجعنا وفعله آب .

(٣) ينالني الأجر لأنني احتسبته عند الله .

لهذيلية في رثاء إخوة وابن

● الشيباني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام ، فهلكوا جميعاً في الطاعون ، وكانت بكرة لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها ، فلم تلبث أن اشتملت (١) على غلام فولدته ، فنبت نباتاً كأنما يمد بناصيته (٢) وبلغ ، فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء (٣) ، أتاه أجله ، فلم تشق لها جيباً ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه ، دعيت لتوديعه ، فأكبت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ، ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المسرة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدّثان (٤) غفر بشاهقة (٥) له أم رؤوم

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نجيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعاً .

لشيبانية في حزنها على أهلها

● خليفة بن خياط قال : ما رأيت أشد كمداً من امرأة من جنّى شيبان ، قتل ابنها ، وأبوها ، وزوجها وأمها ، وعمتها ، وخالتها مع الضحاك الحروري ، فما رأيتها قط ضاحكة ، ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

(١) اشتملت : حملت .

(٢) كان سريع النماء والطول .

(٣) البناء على الزوجة الدخول بها .

(٤) يقال نزلت به حوادث الدهر وأحداثه ، ومن ينجو من الحدّثان ؟ .

(٥) ليس ينجو أحد وإن كان بمكان عال شاهق ترعاه أم حانية وتحوطه وتحميه ، ويضرب المثل

بالغفر في البعد والمنعة والحصانة فيقال : أبعد من معقل الغفر ، بل من مطلع الغفر ، وهما ولد الأرويه

ومنزل من منازل القمر .

من لقلب شفة الحزن ولنفس مالها سكن
ظعن (١) الأبرار فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جنبوا

رثاء أخت النضر له

قال ابن إسحق - صاحب المغازي - لما نزل رسول الله ﷺ الصفراء - وقال ابن هشام الأثيل - أمر علي بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً (٢) ، بين يدي الرسول ﷺ . فقالت أخته : قتيلة بنت الحارث ترثيه (٣) :

يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (٤)
بلغ به ميتاً فإن تحية ما إن تزال بها الركائب تحقق (٥)

(١) الظعن : السفر والارتحال .

(٢) كل ذى روح يوثق حين يقتل فقد قتل صبراً .

(٣) هي من الشعراء المخضرمين . وكان النضر أخوها يؤذى رسول الله ﷺ والمسلمين ويقول : يأتيكم بأخبار عاد وثمود ، وأنا آتيكم بأخبار الأكاسرة والقيصرة ، فلما قتل قالت هذا الأبيات ترثيه - وقيل في شعرها : أكرم شعر موتور ، وأعفه ، وأكفه ، وأحلمه .

(٤) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، والمظنة موضع الظن . تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه صبيحة ليلة خامسة ، وقولها : وأنت موفق : أى حيناً لا تضل طريقك . والمعنى : يا راكباً ، إن الأثيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم ترغ عنه .

(٥) ما - إن - تزال : إن زائدة للتوكيد . وتحقق : تحرك .

مَنَى إِلَيْكَ وَعِبْرَةً مَسْفُوحَةً	حادث بواكفها وأخرى تخنق (١)
هل يسمعى النضر إن ناديته	أم كيف يسمع ميت لا ينطق (٢)
أحمد يا خير ضنء كريمة	من قومه والفحل فحل معرق (٣)
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفتى وهو المغيظ المخنق (٤)
فالنضر أقرب من أسرت قرابة	وأحقهم إن كان عتقا يعتق (٥)
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشقق (٦)
صبرا يقاد إلى المنية متعبا	رسف المقيد وهو عانٍ موثق (٧)

عمر بن الخطاب واخنساء في أخويها

● الأصمعى قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب (٨) في وجهها فقال : ماهذه الندوب ياخنساء؟! قالت : من طول البكاء على أخوى ! ، قال لها : أخواك في النار ! قالت : ذلك أطول لحزنى عليهما ، إنما كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكى لهما من النار ، وأنشدت تقول :

-
- (١) مسفوحة : مصبوبة . ومعنى البيتين : إذا وصلت إلى هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لا تزال الركائب تتحرك بها منى إليه وبلغه عبرة مصبوبة ، وأخرى بالخلق تخنقه .
(٢) إنها تتساءل في حسرة .. هل يسمعها أخوها ، ولكنها سرعان ما تقول : كيف يسمع من لا ينطق؟! وإن كانت السنة الشريفة أخبرتنا أن الميت يسمع وقع النعال .
(٣) الضنء الولد . والمعرق : من له عرق في الكرم . والمعنى : يا محمد ، إن التى ولدتك كريمة قومها ، والذي ولدك سيد عريق في الكرم ، فأنت خلاصة شريفين .
(٤) المعنى : وإذا كنت كذلك فما الذى يضرك لو مننت على أخى وأطلقته وليس هذا عيبا عليك إذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق .
(٥) إن النضر أقرب الأسراء الذين أسرتهم إليك وأحقهم بالعتق إن وقع فكاك أو عتق .
(٦) تنوشه : تتناولنه . واللام في - لله - للتعجب . والمعنى : لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام تقطع هناك .
(٧) إنه يقاد إلى الموت متعبا في قيوده .
(٨) الندوب ما تتركه الدموع وغيرها في الوجه من آثار وكأنا هي مجارٍ للدموع .

وقائلة - والنفس قد فات خطوها لتدركه - يالهف نفسي على صخر
ألا ثكلت (١) أم الذئب غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر!؟

عائشة والخنساء في صدار (٢) كانت تلبسه :

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضی الله تعالى عنها وعليها صدار
من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ماهذا ياخنساء ؟ فوالله لقد
توفى رسول الله ﷺ فمالبسته ! .

قالت : إن له معنى دعاني إلى لباسه ، وذلك أن أوى زوجنى سيد
قومه ، وكان رجلا متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفده ، ثم رجع في مالى
فأنفده أيضا ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين ياخنساء؟! قلت : إلى أخى
صخر ، قالت : فأتيناها فقسم ماله شطرين ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ،
فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال
لى : إلى أين ياخنساء ؟ فقلت إلى أخى صخر .. ! .

قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين ، وخيرنا في أفضل
الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين
الشطرين ؟ فقال :

والله لأمنحها شرارها فلو هلكت قددت خمارها
واتخذت من شعر صدارها وهى حصان قد كفتنى عارها

فآليت ألا يفارق الصدار جسدى ما بقيت ! .

● من رثت زوجها :

قالت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين - رضی الله عنها - ترثى زوجها

(١) الثكلى هى من فقدت بنيا .

(٢) الصُّدَّار : قميص يغطى الصدر بلا كمين ، واستشعرته ليسته بحيث يلى الجسد ، والشعار

ما يلبس تحت الدثار فالجلباب دثار والقميص شعار .

الزبير بن العوام وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعه الجمل [وتروى هذه الأبيات لزوجته التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه] :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد (١)
يا عمرو لو نهبته لو جدته لا طائشا رعرش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد
● لبانة زوجة الأمين تراثيه :

الهلالى قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت على بن ربيعة ، وكانت من أجمل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبين بها ، فقالت تراثيه :

أبكىك لا للنميم والأنسي بل للمعالى والرحم والفرس
يا فارساً بالعراء مطرحاً خاتته قواده مع الحرس
أبكى على سيد فجعت به أرملنى قبل ليلة العرس
أم من لير أم من لعائدة أم من لذكر الإله فى الغلس (٢)
من للحروب التى تكون لها إن أضمرت نارها بلا قبس

● وقالت أعرابية تراثى زوجها (٣) :

كنا كغصنين فى جرثومة سمقا حيناً بأحسن مايسمو له الشجر (٤)

(١) البهمة : الشجاع الذى يستبهم مأناه على أقرانه فيحارون كيف يأتونه ، ومن أين ينالونه ويتمكنون منه !! وعُرد عنه : إذا انحرف وبعد : فقد غدر به على مقربة منه دون أن ينهيه .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) هذه الأبيات منسوبة فى ديوان الحماسة لصفية الباهلية تراثى أحاها (الطبعة الثانية

١٩١٣م) .

(٤) الجرثومة : الأصل ، والتراب المتجمع فى أصول الشجر . وسمقا : طالا ، ويسمو : يعلو ، والمعنى : كنا كغصنين طالا وتشعبا من أصل واحد متكافئين فى رفعة الشرف ، ودمنا زمانا على أحسن ما يدوم به الفرعان فى أصلهما . وقد جاء البيت فى العقد :

..... بقفا حيناً على خير ما ينمى به الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما وطاب فيآهما واستنظر الثمر (١)
أخنى على واحد ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر (٢)
كنا كأنجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من دونها القمر (٣)

● الأصمعي وجارية على قبر زوجها :

● الأصمعي قال : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ،
فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الخلى والحلل مالم أرمثله وهى تبكى
بعين غزيرة وصوت شجى ؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت : هل رأيت أعجب من
هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبني أراه ! .

ثم قلت لها : يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زى الحزن .
فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى رهينة هذا القبر يافتيان
وإنى لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى (٤) مخافة يوم أن يسوءك شأنى

(١) الفىء : الظل ، واستنظر : انتظر ، وفى رواية العقد : وطال قنواهما واستنظر الثمر والقنو :
العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٢) أخنى : أهلك ، وريب الزمان : مصيبته ، ولا يذر : ولا يدع . ومعنى البيتين : أننا لما بلغنا
الكمال ، وطاب منشؤنا ، وكنا كفرعى الشجرة التى طاب ظلها ، واستنظر ثمار أغصانها أحدث حدثان
الدهر أحداثا فاجعة فأهلكت - أخنى - أو زوجى - على رواية العقد - الواحد . ولا عجب ؛ فإن هذه
أحوال الدهر الذى لا يدوم على حال .
(٣) كنا فى الاجتماع مع الأهلين كالأنجم التى تبدو فى الليل ، وهو بيننا كالقمر الذى يكشف
الظلمة ، فسقط من وسطها . أى غاب عن أعيننا .
(٤) الثرى : التراب ، وهى ما زالت تعمل حسابه ، ويعتربها الحياء منه ميتا كما كانت معه حيا ،
فهى تهابه إجلالا .

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يامن كان ينعم بي بالأ ويكثر في الدنيا مواساتي
فأ زرت تبرك في حنى وفي حنل كأننى لست من أشل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه أن قد تسر به من بعض هيئاتي
فمن رآنى رأى عبرى موهبة عجيبة الزى تبكى بين أموات (١)

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهى تبكى وتقول :

خدى يقيق خشونة اللحد وقليلة لك سيدى خدى
ياساكن القبر الذى بوفاته عميت على مسالك الرشد (٢)
أسمع أبثك علتى ولعلنى أطفى بذلك حرقة الوجد (٣)

● من رثى جاريته :

كان لمعلى الطائى جارية يقال لها وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرنى محمد بن وضاح ، قال : أدركت معلى الطائى بمصر ، وأعطى بجاريته « وصف » أربعة آلاف دينار ، فباعها ، فلما دخل عليها قالت له : بعتنى يامعلى !؟ قال : نعم . قالت : والله لو ملكت منك مثل ماتملك منى مابعتك بالدنيا وما فيها ! فإرد الدنانير ، واستقال (٤) صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ، فقال يرثها .

ياموت كيف سلبتنى وصفا قدمتها وتركتنى خلفا
هلا ذهب بنا معا فلقد ظفرت يداك فسمتنى حسفاً (٥)
وأخذت شق النفس من بدنى فقبرته وتركت لى النصفا

(١) عبرى : باكية تسيل عبراتها ، وموهبة : ذهب الجزن بعقلها .

(٢) أصبحت حائرة بعدك ، فقد كنت ترشدنى ، وتهدينى .

(٣) الوجد : الحزن .

(٤) استقال صاحبه : طلب . به أن يعفيه من إتمام الصفقة ويرد عليه جاريته لأنه رجع فى البيع

(٥) سمتى حسفاً : أذقتنى المذل بعدها .

فعليك بالباقي بلا أجل
 ياموت ما أبقيت لي أحداً
 هلا رحمت شباب غانية
 ورحمت عيني ظبية جعلت
 تغض إذا انتصبت فرائصه
 فإذا مشى اختلفت قوائمه
 متحيراً في المشى مرتعشا
 فكأنها وصف إذا جعلت
 ياموت أنت كذا لكل أخي
 خليتي فرداً و بنت بها
 ففكرتها بالرغم في جدث
 دون المقطم لا ألبسها
 أسكنتها في قعر مظلمة
 بيتا إذا مازاره أحد
 لا نلتقى أبدا معاينة
 لبست ثياب الحتف جارية
 فكأنها والنفس زاهقة
 ياقبر أبق على محاسنها

فالموت بعد وفاتها أغفى
 لما رفعت إلى الليل وصفا
 ربا العظام وشعرها الوحفا (١)
 بين الرياض تناظر الخشفا (٢)
 وتظل ترعاه إذا أغفى (٣)
 وقت الرضاع فينطوى ضعفا
 يخطو فيضرب ظلغه الظلفا
 نحوى تحير محاجرا وطفا (٤)
 إلف يصون بيه الإلفا
 ما كنت قبلك حاملا وكفا (٥)
 للريح تنسف تربه نسفا
 من زينة قرطا ولا شنفا (٦)
 بيتا يصفح تربه السقفا
 عصفت به أيدي البلى عصففا
 حتى تقوم لرينا صفا
 قد كنت ألبس دونها الحتفا (٧)
 غصن من الريحان قد جفا
 فلقد حويت البر والظرفا

- (١) الغانية : التي استغنت بحمالها عن الزينة ، و ربا العظام : طرية ناعمة وشعرها الوحف : الاسود الفاحم الكثيف .
- (٢) الخشفا : ولد الغزال يطلق على الذكر والأنثى .
- (٣) الفرائص : جمع فريصة وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع فإذا ما رأته وليدها قد نام تظل ساهرة عليه ترعاه .
- (٤) الضجر من العين ما دار بها . وطفاء كثيرة شعر الحاجبين .
- (٥) بنت بها : بعدت بها عنى - وما كنت قبلك حاملا وكفا - أى حزنا ودموعا تكف وتسيل .
- (٦) الشنفا : ما عنق في الأذن ، أو أعلاها من الخلى .
- (٧) الحتف : الموت ، وجارية : شابة .

● مروان بن محمد وجارية له :

● لما هزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له خلفها

بالرملة :

ومازال يدعوني إلى الصدم ماأرى
وكان عزيزا أن تبينى وبيننا
وأنكاهما للقلب - والله - فاعلمى
وأعظم من هذين - والله - أننى
سأبكيك لا مستقبيا فيض عبرة
فآبى ويشينى الذى لك فى صدرى
حجاب فقد أمسيت منك على عشر
إذا ازددت مثلها فصرت على شهر
أخاف بألا نلتقى آخر الدهر
ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● وقال حبيب الطائى يرثى جارية أصيب بها :

جنف البلى أسرع فى الغصن الرطب
لقد شرقت فى الشرق بالموت غادة
وألبنسى ثوبا من الحزن والأسى
وكنت أُرَجِّى القرب وهى بعيدة
أقول وقد قالوا استراحت لموتها
لها منزل تحت الثرى وعهدتها
وخطب الردى والموت أبرحت من خطب
تبدلت منها غربة الدار فى القرب
هلال عليه نسج ثوب من الترب
فقد نقلت بعدى عن البعد والقرب
من الكرب روح الموت شر من الكرب
لها منزل بين الجوانح والقلب

● وقال يرثيها :

ألم تترنى خليت نفسى وشأنها
لقد خوفتني النائبات صروفها
وكيف على نار الليالى معرس
أصبت بخود سوف أغبر بعدها
ولم أحفل الدنيا ولا حدثانها (١)
ولو أمنتنى ما قبلت أمانها (٢)
إذا كان شيب العارضين دخانها
حليف أسى أبكى زماناً زمانها (٣)

(١) لم أحفل : لم اهتم . وحدثانها : أحداثانها .

(٢) صروفها : نكباتها ، وضما لم بعد يأمنها .

(٣) الخود : الفتاة الناعمة حسنة المظهر والخير . يقول : إنه سيظل بعدها بخالف الحزن .

عنان من اللذات قد كان في يدي
منحت المها هجرى فلا محسناتها
يقولون : هل يبكى الفتى لخريده
وهل يستعيض المرء من خمس كفه
فلما قضى الإلف استردت عنانها (١)
أريد ولا يهوى فؤادى حسانها (٢)
إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها (٣)
ولو صاغ من حر اللجين بنانها (٤)

● وقال أعرابي يرثي امرأته :

فو الله ما أدرى إذا الليل جننى
أمنفصل عنه ثرى ؟ أم كريمة
وذكرنيها أينما هو أوجع (٥)
أم العاشق النابى به كل مضجع ؟ (٦)

● وقال محمود الوراق يرثي جاريته نشو :

ومنتصح يردد ذكر نشو
أقول: وعد ما كانت تساوى
عطيته إذا أعطى سروراً
فأى النعمتين أعم نفعاً
أنعمته التى أهدت سروراً
بل الأخرى وإن نزلت بحزن
على عمد لبيث لى أكثابا
سيحسب ذاك من خلق الحسابا
وإن أخذ الذى أعطى أثابا
وأحسن فى عواقبها إيابا
أم الأخرى التى أهدت ثوابا ؟
أحق بشكر من صبر احتسابا!

(١) يتحسر على ما كان يتاح له من لذات يمسك بعنانها عندما كانت تعائشه فلما ماتت استردت عنانها - والعنان ما يمسك به الفارس من فرسه .
(٢) يقصد النساء الجميلات ، وقد كانوا يشبهون المرأة بالمهابة وهى بقر الوحش لسعة عينها - فلقد أعرض عن جمالهن وهجرهن بفرأقها .
(٣) الخريده : البكر الحبيبة الطويلة السكوت ، والمؤلؤة لم تنقب ، ويقول : إن فراغها لا يملؤه غيرها ولو كن عشرا .
(٤) هل يمكن أن تسد أى أصابع مكان أصابع اليد ، ولوصيفت من فضة .. إن غيرها لا يعوضه عنها مهما بلعن فى الجمال .
(٥) جن عليه الليل : أظلم .
(٦) نابه المضجع : كرهه ، فلا يتام .

● محب وجارية له ماتت :

أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ، فماتت ، فوجد (١) عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية في نومه فأنشدته هذه الأبيات :

جاءت تزور وسادى بعد مادفنت في النوم أَلثم خدّاً زانه الجيد
فقلت : قرّة عيني (٢) قد نعتت لنا فكيف ذا وطريق القبر مسدود !؟
قالت : هناك عظامي فيه ملحدة تنهش منها هوام الأرض والدود
وهذه النفس قد جاءتك زائرة فاقبل زيارة من في القبر ملحود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشرهم . فما بقي بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها .

● رثاء ابنة لأحد بني حميد

قال البحتري يعزى أبا نهشل (٣) محمد بن حميد الطوسي عن ابنته :

ظلم الدهر فيكم وأساء فعزاء بني حميد عزاء
أنفس ماتكأد تفقد فقداً وصدور ماتبرح البرحاء

(١) حزن عليها حزناً شديداً .

(٢) يا قرّة عيني .

(٣) أبو نهشل محمد بن حميد ، وأخواه أبو نصر محمد ، وأبو عبد الله محمد هم : بنو حميد ابن عبد الحميد الطائي الطوسي القائد الذي قتل في حرب بابك سنة ٢١٤ وقد ترجم المرزباني لهم في معجم الشعراء ، وقال : إنهم شعراء أدباء ، وقد رثى أبو تمام أباهم عند مصرعه ، وهذه القصيدة يرجع تاريخها إلى سنة ٢٣٠ هـ ديوان البحتري ج ١ .

- أصبح السيف داءكم وهو الد
وانتحي القتل فيكم فبكينا
ياأباالقاسم المقسم في النجـ
والهزبر الذى إذا دارت الحر
الأسى واجب على الحر ، إما
وسفاه أن يجزع الحر مما
أنبكى من لاينازل بالسيـ
والفتى من رأى القبور لما طا
لسن من زينة الحياة كعد اللـ
قد ولدن الأعداء قدما وورث
لم يثد تربهن « قيس تميم »
- اء الذى مايزال يعيى الدواء (١)
بدماء الدموع (٢) تلك الدماء
سدة والجود والندى أجزاء (٣)
ب به صرف الردى كيف شاء (٤)
نية حرة وإما رياء (٥)
كان حتما على العباد قضاء (٦)
ف مشيحا ولا يهز اللواء ؟ (٧)
ف به من بناته أكفاء (٨)
ه منها الأموال والأبناء (٩)
ن التلاد الأقصى البعداء (١٠)
عيلة بل حمية وإباء (١١)

- (١) يقف الدواء والطب عاجزا أمام السيف .
(٢) بدموع تشبه الدماء عبرنا عن حزننا على قتلاكم .
(٣) الندى : العطاء ، وقد وصفه بالنجدة ، والجود ، والندى .
(٤) الهزبر : الأسد ، وهو هنا شجاع عندما تدور رضى الحرب ، لا يهاب الموت بل يوجه الموت لكل من حوله ممن يقاتلهم كيف شاء .
(٥) الأسى بضم المصرة وكسرهما : جمع أسوة أى القُدوة وما يأتسى به الحزين .
(٦) من السفه أن نجزع ونحزن مما هو لا مفر من وقوعه .
(٧) لا يستحق البكاء في نظر الشاعر من لا ينازل الأبطال ، ولا يحمى اللواء في ميادين القتال يعنى بذلك : النساء ؛ فهو يعجب ممن يبكين . والمشيح : الجاد الحذر والمانع لما وراء ظهره .
(٨) الفتى الحق من يرى أن القبور هى المناسبة لما طاف به من بناته .
(٩) يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى عندما عد زينة الحياة الدنيا قال : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف : ٤٦] وليس من هذه الزينة البنات .
(١٠) التلاد بالفتح : المال القديم الأصل الذى ولد عندك وهو ضد الطارف ويقصد أنهم يتزوجن فينسب أبناؤهن إلى قبائل الأزواج وربما كانت معادية لقبيلة الأم فينتسب الأبناء لتلك القبيلة المعادية كما قال شاعر مماثل :

بنونا بنو أبائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد
وأيضاً ينتقل ميراث البنت معها إلى زوجها وأولادها .

- (١١) العيلة : مصدر عال : افتقر . وقيس تميم : هو قيس بن عاصم المقرئ ينتسب إلى زيد مناة ابن تميم ، وقد كان يثد كل بنت تولد له ويرر الشاعر ذلك بأنه لم يكن الدافع من وراء ذلك الوأد الفقر وإنما كان الإباء والحمية وخوف العار والفضيحة وتربهن : أى مثلهن .

وتغشى في مهلهل الذل فيه—
 وشقيق بن فاتك حذر العا
 وعلى غيرهن أحزن يعقو
 وشعيب من أجلهن رأى الوح
 واستزل الشيطان آدم في الجـ
 وتلفت إلى القبائل فانظر
 ولعمري ما العجز عندي إلا
 من وقد أعطى الأديم حياء (١)
 ر عليهن فارق الدهناء (٢)
 ب وقد جاءه بنوه عشاء (٣)
 سدة ضعفا فاستأجر الأنبياء (٤)
 نة لما أغرى به « حواء »
 أمهات يُنسبن أم آباء؟!
 أن تبيت الرجال تبكى النساء!!

للإسكندر يعزى أمه عن فقده

● ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه :
 أن اصنعي طعاما يحضره الناس ، ثم تقدمي إليهم :
 ألا يأكل منه محزون ، ففعلت : فلم يبسط أحد إليه يده ، فقالت :
 مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ، وليس
 منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب ! .
 فقالت : مات والله ابني ! .

ومما أوصى إلى بهذا إلا ليعزيني به !

(١) مهلهل بن ربيعة التغلبي نزل بقبيلة يقال لها : « جنب » فزوج إحدى بناته فيها لمعاوية
 ابن عمر من ولد هذه القبيلة . وقدم لها مهرها جلودًا . فقال :

زوجها فقدما الأراقم من جنب وكان الحياء من أدم
 والأديم : الجلد . والحياء : العطاء . ويقصد أن أباها تغشاه الذل عندما أعطى مهر ابنته جلدًا .
 (٢) الدهناء : من ديار بني تميم معروفة ، وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها بين كل جبلين
 شقيقة ، إذا أخضبت ربت العرب جميعا لسعتها . ويقصد أن شقيق بن فاتك فارق موطنه خوف العار
 على بناته .

(٣) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام وحزن أبيه عليه لما عاد إخوته إلى أبيهم بعد أن ألقوا
 أخاهم في الجب . وأن هذا الحزن لم يكن عليهن ! .

(٤) يشير إلى قصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب عندما سقاها من ماء مدين وقد وردت
 قصة ذلك في القرآن الكريم سورة القصص [الآيات : ٢٣ - ٢٨] .